

الإيمان بما جاء في الكتاب العزيز والسير إليه الصواب
مركز كربلاء للدراسات والبحوث



مدينة كربلاء

**أنموذج للحواضر الدينية المعاصرة
(الدليل التعريفي لمدينة كربلاء المقدسة)**

إعداد

الدكتور رياض الجميلي

أستاذ جغرافية المدن في جامعة كربلاء

٢٠١٤

المقدمة

تعد مدينة كربلاء المقدسة انموذجا حيا للمدن الاسلامية البارزة في العراق خاصة والعالم الإسلامي عامة وتأتي اهميتها ومكانتها البارزة مما تحويه من تراث إنساني- حضاري وضاء يجسد حضارة الاسلام الخالدة بمعانيها المادية والمعنوية على حد سواء، فحضارة مراقدها المقدسة ومختلف معالمها الانسانية والروحية مثلت جزء كبيرا من هذه الاهمية عبر التاريخ وقد ساهمت العديد من الكتابات في مختلف مجالات تاريخها ومحاولات جلييلة في ترسيخ بواذر حضارتها المشرقة التي غيب منها الكثير، وتأتي مبادرة مركزنا في فتح آفاق جديدة تسلط الضوء على تلك المعاني الانسانية السامية في جمع وحفظ تراث المدينة من جانب والشروع بتغطية العديد من الجوانب الحساسة التي لم تنل اهتماما واضحا عن طبيعة الجوانب الاجتماعية والبيئة الجغرافية والحضارية لهذه المدينة الخالدة من جانب اخر لذا نضع بين ايدي القارئ الكريم هذا الدليل التعريفي المتواضع والذي هو محاولة جادة لفتح آفاق بحثية اوسع عن كل ما يتعلق بكربلاء وتاريخها الحضاري المشرق.

إدارة المركز

الاهداء

الى محبي كربلاء



الجذور التاريخية لأهمية موضع كربلاء

العراق موطن الاستقرار لكثير من الحضارات الإنسانية القديمة المشهورة في تاريخه الموهل في القدم والتي تعاقبت على أرضه منذ فجر الحضارات الأولى والتي امتازت جميعها بتطور الحياة المدنية فيها بجميع أشكالها مبكرا حتى غدت الكثير من مدنه القديمة أساسا مهما لترسيخ مفهوم المدينة المعاصرة فمدن أور وبابل والوركاء ونفر واريكو وغيرها من الحواضر المدنية في وقتها احتضنها سهل العراق الرسوبي الواسع على امتداد رافديه العظيمين (دجلة والفرات) ، وعلى الرغم من قدم حضارة سومر جنوب العراق قبل ما يقارب ثلاثة آلاف سنة ق.م إلا أن حضارة بابل أكثر شهرة وتطور في تاريخ العراق القديم ولعل السبب في ذلك يعود لأهمية موقعها الجغرافي المتوسط للسهل الرسوبي الخصب بجميع خصائصه الموقعية والموضعية والذي مكنها من بسط نفوذها على جميع المناطق القريبة والبعيدة منها جغرافيا فأتساع نفوذ البابليين القدامى آنذاك أسهم في تطور أساليب الحياة السياسية ، فتعاقب الأسر الحاكمة على سلالات الحكم فيه انعكس بدرجة كبيرة على اختلاف فنون إدارة الدولة، الأمر الذي ساعد على اتساع الرقعة الجغرافية لنفوذ دولة بابل القديمة، لقد استطاعت حضارة (أكد) بزعامة الملك سرجون الأكدي من توحيد دويلات العراق المترامية الأطراف والمتناحرة بحدود عام ٢٣٥٠ ق.م ولم يقتصر أمر المملكة على العراق فحسب، بل تعدت حدودها لتشمل أجزاء واسعة من دول الشرق الأدنى والتي اتحد من خلالها نفوذ الدولتين القسم الجنوبي من العراق (بلاد سومر) مع القسم الأوسط من العراق (بلاد أكد) والتي استمرت قرنين من الزمن (٢٣٥٠ - ٢٢١٠ ق.م) لقد أدرك البابليون أهمية الموقع الجغرافي لحضارتهم منذ القدم وما يحيط به من الأراضي السهلية الخصبة بأنها عرضة لإطماع الكثير من الحضارات والأقوام كالحثيين والاشمينيين وغيرهم ، لذا استطاع البابليون من تأمين القدرات الدفاعية لصد

الغزوات الخارجية ، وخلال هذه الفترات التاريخية لم تكن بقعة كربلاء بعيدة عن هذه الإحداث المكانية فموقع كربلاء المجاور لأكبر حضارة بشرية وبدون شك أن الموقع الجغرافي لمدينة كربلاء قديما كان يشكل جزءا مهما من كيان الحضارة البابلية ، الأمر الذي لم يجعلها خارج مجرى التطورات الزراعية والحياة المدنية التي كانت قائمة في المنطقة فلا يعقل بان موضع كربلاء لم يتأثر بمتغيرات الثورة الزراعية الأولى خلال فترات عنفوان وعظمة بابل ، فبالرجوع إلى الحقائق الجغرافية لنشأة الحياة المدنية في العراق أن حياة المدن كانت مزدهرة في العديد من جهات العراق مبكرا وحتى الجهات البعيدة عن المراكز المدنية ويذكر الباحث اوبنهايم أن من العوامل المشجعة على نشأة ونمو المدن العراقية هي التطور الواضح في زيادة الإنتاج الزراعي وتزايد مركز السلطة مع ازدياد الاتصالات بين المستوطنات والمناطق القبلية المحيطة بها ، كما يؤكد بان عملية التمدن لم تتم عن طريق تطور مدينة واحدة وإنما تطور عدد من المراكز المتباعدة كمدينة اريدو ومدينة أور وغيرها بسبب تزايد نفوذها وتأثيرها خلقت تجمعات مدنية جديدة والتي لا تفصل بينها فواصل وحدود طبيعية معقدة فلقد ازدهرت مدن عدة في جنوب العراق قديما منها مدينة أور والبطائح واريدو (ابو شيرين) والتي أسسها السومريون على اختلاف فترات حكمهم في جنوب العراق ومثلها في الوسط العراقي كان أبرزها مدينة بابل وطيسفون (طاق كسرى) في واسط ونفر (نيبور) في محافظة القادسية وكذلك مدن القسم الشمالي من العراق أمثال مدينة أشور (قلعة شرقاط) ومدينة الحضر ونيوى وكالح (نمرود) وارييلا وغيرها. كل هذه الحواضر وغيرها من المراكز العمرانية أسسها سكان العراق القدامى وعلى اختلاف عوامل النشأة فمنها ما هو مركز للحكم ومنها للتجارة وأخرى مراكز للدين... الخ ، ويفهم مما تقدم بان بوادر الحياة المدنية في العراق تعود إلى حقب تاريخية بعيدة ليس من السهل تحديدها وان ظاهرة نمو وموت واندثار المدن امر طبيعي مرت به اغلب الحواضر العراقية قديما وحديثا مما يجعل المتتبع على قناعة تامة من أن كافة الأماكن في العراق مؤهلة لقيام المدن واندثارها .

ومدينة كربلاء مثال بارز للمدن الدينية والقائمة بدعم الجانب الروحي والتاريخي التي أسهمت العوامل التاريخية والدينية في دعوتها للظهور والتطور والذي تحتفظ بالعديد من آثاره المادية والمعنوية ، بل تعدى الأمر البعد التاريخي الى الجانب الحضري ليضع بصماته الواضحة في عمليات تشكيل بنية المدينة عمرانيا ووظيفيا ابتداء من التسمية ومرورا بمراحل التوسع الحضري وانتهاء بالوظائف الحضرية التي تمارسها المدينة ضمن أنظمة استعمالات الأرض فيها ، ويعتقد البعض مستشهدا ببعض الأدلة الاثرية والاحفورية عن وجود آثار في موضع كربلاء لا تزال قائمة حتى الان تعود بتاريخها الى فترات زمنية مضت أبرزها كهوف الطار و المواقع الاثرية في منطقة عين النمر (ثلاثة) قديما وبعض المقابر والأديرة التي يقدر عمرها أكثر من (٣٠٠٠) سنة (صورة -١-٢-٣).



(كهوف الطار) المنتشرة في عموم منطقة عين النمر غربي كربلاء



بقايا المنارة موجدة الاثرية

بقايا كنيسة الاقيصر غربي كربلاء

أصل تسمية المدينة

يحتمل البحث في أصل تسمية مدينة كربلاء تاريخيا ، بعدين الأول لغوي والأخر تاريخي يساعد على الوقوف ولو بشكل عام على معرفة طبيعة العوامل الجغرافية وغيرها التي تقف وراء تسمية المدينة ، وبالرجوع الى المعاني اللغوية للفظه يرجح عودتها إلى الاسم الآرامي (كاربيلا) الوارد ذكره في سفر دانيال الثالث ويحتمل كذلك أن تكون ترجمته تعني (إقليم بابل) فيما يرى آخرون بان اللفظة تعود إلى الكلمة (كرب) و(آيل) والتي تترجم مجتمعة حرم قدسي ويرجح البعض بان لفظه كربلاء مشتقة من كلمة(كوربابل) العربية الأصل ، كور جمعها اكوار ويعتقد أنها مجموعة من القرى البابلية القديمة التي استوطنت المنطقة قديما كما يذكر البعض أن ابرز هذه القرى شيوعا هي نينوى والتي لاتزال أثارها موجودة في جهة الشرق والشمال الشرقي من مدينة كربلاء حاليا ، وعلى أية حال فان هناك الكثير من وجهات النظر اللغوية حول الأصل اللغوي للفظه كربلاء وهي إلى أن محط جدل كبير بين من يرجعها إلى الأصل السامي وبين من يعتقد بأعجميتها ، أما الرؤيا التاريخية لأصل التسمية فإنها تستند إلى جميع الإشارات اللغوية التي نعتت بها المنطقة ومنها(كاربيلا، كرب ايل، كاربالا، كوربابل) وغيرها التي حملت المنطقة معانيها المختلفة منذ القدم وجعلها دليلا مهما على قدم المنطقة تاريخيا لان اغلب هذه التسميات غير مألوفة في لغة العرب ، حتى التسمية التي رافقت المدينة منذ نشأتها وهي كربلاء فهي ليست عربية وهناك الكثير من الأدلة المنطقية تساق على ذلك منها ان المصادر التاريخية تشير إلى أن المنطقة كانت معروفة بهذه التسمية قبل الفتح العربي لها سنة 6٣٤ م وقبل سكنى القبائل العربية فيها ، فضلا عن ذلك أن هناك العديد من أسماء الأماكن والبقاع العراقية هي ليست عربية التسمية على سبيل المثال تسمية بغداد وبابل وبعقوبا وكوش وغيرها ، وإنما ورثت كربلاء تسميتها من تاريخها الموهل في القدم ، أما

بقية التسميات العربية الاخرى التي اكتسبتها المنطقة بعد الفتح الإسلامي العربي أمثال (شط الفرات ، وادي ألطف ، الحائر ، مشهد الحسين .. الخ) فقد جاءت متأخرة ، ألا أن المدينة احتفظت بتسميتها البابلية (الأولى) وهي (كربلاء) والذي كان ولا يزال من أبرز تسمياتها على رغم تعددها.

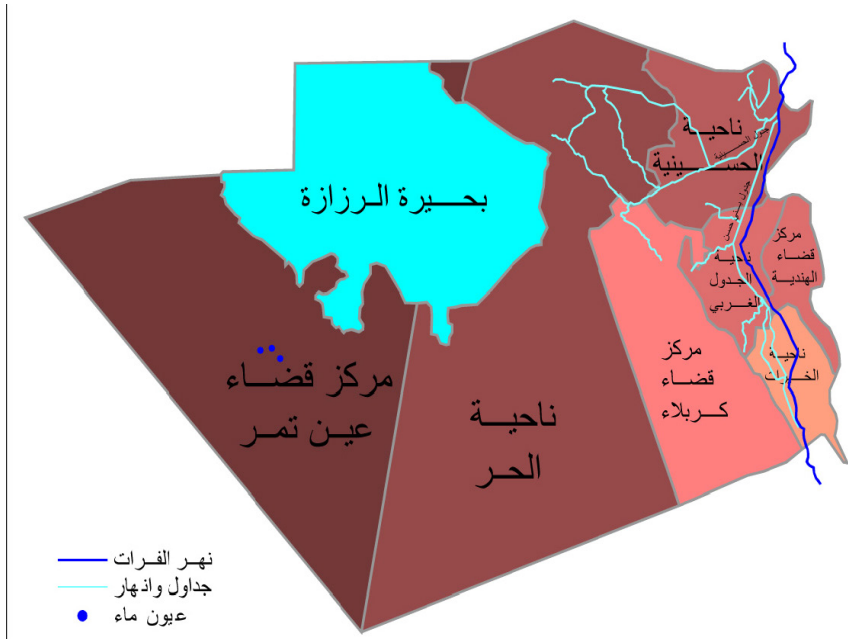
كما يضيف الجغرافي ياقوت الحموي بعدا جغرافيا ثالثا لأصل التسمية وهو أن لفظة كربلة جاءت من رخاوة تربة المنطقة لان كربلة تعني رخاوة القدمين عند المشي كما يعتقد ياقوت أن اللفظة مشتقة من كلمة كربل وهو اسم لنبات يكثر فيها لذلك وصفت وسميت به.

البنية الجغرافية المعاصرة لهدينة كربلاء ومحافظةها

الظروف الطبيعية للموقع الجغرافي

تقع محافظة كربلاء جغرافيا على الحافة الصحراوية للهضبة الغربية العراقية فيما تقع فلكيا بين دائرتي عرض ٣٢ - ٣٣ شمالا وبين خطي طول ٤٣،١٠ - ٤٤،٢٠ شرقا وهي بذلك تقع على الحافة الشرقية للهضبة الصحراوية جنوب غرب محافظة بغداد ، يحدها من الشمال محافظة الانبار وجزء من محافظة بابل ومن الجنوب محافظة النجف الاشرف ومن الغرب محافظة الانبار تتجاوز مساحتها بحوالي (٥٠٣٤ كم^٢) وبذلك فهي تشكل نسبة (١،١٪) من إجمالي مساحة العراق ، وترتفع حوالي ب(٣٦ متر) عن مستوى سطح البحر وتتحدر تدريجيا باتجاه الشمال والشمال الشرقي والجنوب والجنوب الشرقي وهي بذلك تمثل منطقة انتقالية تجمع في خصائصها الجغرافية بين اقليميين طبيعيين هما السهل الرسوبي من جهاتها الشرقية وتكوينات الهضبة الغربية من جهاتها الغربية والشمالية الغربية ، تبرز تكوينات الهضبة على طبوغرافيتها بشكل عام من تكوينات تربتها الصحراوية والتي تكون في الغالب من مواد الكلس والجير فضلا عن ظاهرة انحدار مجاري الأودية الصحراوية التي تجري فيها مياه الفيضانات

والإمطار والسيول وأبرزها وادي الأبيض غربي المحافظة ، يتأخم الموقع الجغرافي لمدينة كربلاء من بين اكبر المنخفضات المائية في العراق وهي بحيرة الرزازة والتي تقع على مسافة (١٥ كم) إلى الغرب من مدينة كربلاء وهي عبارة عن خزان مائي مغلق تبلغ مساحتها حوالي (٢٠٠٠ كم^٢) تتميز مياه البحيرة بارتفاع نسبة ملوحتها ، فيما تكثر فيها بعض المواقع الأثرية والسياحية ، تتفرع على مشارف مدينة كربلاء من جهاتها الشمالية والشرقية العديد من مجاري الأنهر والجداول المائية المتفرعة من نهر الفرات والتي أبرزها نهر الحسينية ونهر الهندية وجدول بني حسن التي تغذي المحافظة واحتياجات سكانها في جميع الاستعمالات الحضرية والريفية .(خريطة - ١)



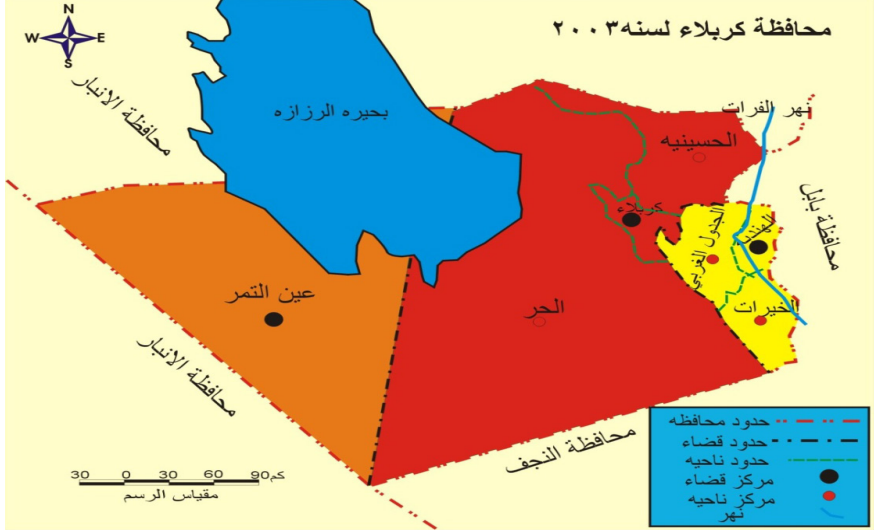
(خريطة - ١) الموارد المائية في محافظة كربلاء

الخصائص الإدارية لمحافظة كربلاء

تمثل محافظة كربلاء إحدى أهم محافظات منطقة الفرات الأوسط العراقي فهي تمثل مركزا أداريا للعديد من الاقضية والنواحي الإدارية التابعة لها ، فأول مرتبة حضرية صنفت عليها مدينة كربلاء تاريخيا هي (سنجق كربلاء) التابعة لولاية بغداد في اثناء الحكم العثماني للعراق ، أما خلال فترة الحكم الملكي في العراق تحولت رتبته الحضرية إلى (لواء كربلاء) يضم قضائي (كربلاء والنجف) فيشمل قضاء كربلاء سابقا ناحيتي الحسينية وشفائنة (عين التمر حاليا) أما قضاء النجف فيضم ناحية الكوفة ، واستمرت الصفة الإدارية لمحافظة كربلاء على هذا الحال حتى عام ١٩٦٥م ففي عام ١٩٧٧م تم فصل قضاء النجف الاشرف واعطاؤه مرتبة المحافظة كما أضيف الى محافظة كربلاء وحدات أدارية جديدة هي قضاء الهندية والذي تتبعه ناحيتي الجدول الغربي وناحية الخيرات التي كانت تابعة لمحافظة بابل .

وفي الوقت الحاضر تضم محافظة كربلاء أداريا ثلاثة أقضية رئيسة وهي : (خريطة -٢)

1. مركز قضاء كربلاء ويتبعه أداريا ناحيتي الحسينية وناحية الحر .
2. مركز قضاء الهندية ويتبعه أداريا ناحيتي الجدول الغربي وناحية الخيرات.
3. مركز قضاء عين التمر الذي لا تبعه أية وحدة أدارية.



(خريطة ٢- الوحدات الإدارية التابعة لمحافظة كربلاء)

المراحل العمرانية لمدينة كربلاء

كان لمجي الدين الإسلامي للجزيرة العربية أثر بالغ في تغيير العديد من الأنماط والأطر والأساليب الاجتماعية والحياتية لجزيرة العرب بشكل خاص المناطق المحيطة بها بشكل عام ، فعظمة المبادئ والقيم الإسلامية التي نادى بها النبي محمد ﷺ منذ بداية دعوته وحتى آخر يوم من حياته الكريمة والتي رسخت وبشكل كبير دعائم المبادئ الإسلامية الأصيلة في نفوس المسلمين وغيرهم ، ولعل دعوة الإسلام في تشجيع قيام المدن والتأسيس للحياة المدنية في العهود الإسلامية الأولى دليلاً واضحاً في بلورة مفهوم المدينة الإسلامية للإنسان المسلم وهذا الاهتمام المبكر امر ملفت للنظر في البيئة الصحراوية التي نشأ فيها الإسلام آنذاك وربما يأتي

من إدراك المشرع الإسلامي بضرورة إيجاد بيئات حضرية ملائمة تضم معالم الدين ومفاصله المعنوية من جانب ، فضلا عن أن المدينة في نظر الإسلام هي البيئة الأكثر تطلعا لرغبات الإنسان وطموحاته وبفعل هذه الرؤى والتأثير السلوكي للإسلام بكل ثقافته برز سلوك عمراني تجلى في ظهور العديد من المدن الدينية التي تغطي عليها معالم الحضارة الإسلامية برموزها المختلفة والتي أطلق عليها فيما بعد بالمدن والحوضر الدينية والتي تشكل فيها الآثار والنصب والرموز الإسلامية عاملا مهما في قيامها ونشوتها كدور العبادة ومرافد الأنبياء والأولياء والأماكن الدينية الأخرى التي ترتبط بالإسلام وتراثه ، كانت منطقتنا العربية تحضي بامتداد حافل في أغوار التاريخ لأنها أرض النبوات والرسالات البشرية ، فمن الطبيعي أن تضم المدن الدينية الكبرى في العالم وعلى اختلاف أنواعها ووظائفها فمنها المدن التذكارية والرمزية وأخرى مدن للأضرحة ومدن الزوايا والأديرة ومدن الحج والزيارة .

فقد لعب العامل الديني دورا كبيرا في نشأة الكثير من مدن العراق ومنها كربلاء والتي أوجدها الإسلام بكل متغيراتها وشخصيتها المكانية ، فالعامل الديني الذي رافق المدينة منذ مراحل نشأتها الأولى هو السبب الحقيقي الذي أسهم في جذب آلاف السكان المهاجرين للسكنى فيها من القبائل العربية وغيرها لما تقدمه من خدمات دينية وروحية وثقافية الأمر الذي اجبر الولاة وأصحاب الأمر إلى بذل الاهتمام الواسع بمرافق المدينة العامة وطرق النقل فيها ، فيما لعب العامل التجاري الذي لعبته كربلاء الواقعة على الطريق الغربي للتجارة في العراق فموقعها الجغرافي على حافة الصحراء الغربية ذات الامتداد الشاسع والمشارك مع العديد من دول المنطقة المجاورة الأمر الذي جعل منها ثغرا مهما من مجموع الثغور الصحراوية التي ترفد القوافل التجارية بين العراق ومحيطه العربي بالموئن والأسواق ودور الاستراحة ومحط رحال القوافل برا فيما تؤدي وظيفة الاتصال النهري عن طريق مجرى نهر الفرات الذي كان إلى فترات قريبة يستخدم لنقل

البضائع والأشخاص ، ومما زاد من أهميتها التجارية موقعها المتوسط بين مدينتي عين التمر غربا ومدينة الحيرة جنوبا المزدهرة تجاريا أيام المناذرة ، وعلية فقد مرت مدينة كربلاء بالعديد من المراحل التاريخية لظروف نشأتها يمكن إيجازها بالمراحل التالية :

١. المرحلة الأولى : منذ النشأة ٦٨٠م - ١٥٠٠م

تعود البدايات الأولى لنشأة مدينة كربلاء إلى مرحلة زمنية ليست بطويلة قبل واقعة الطف واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام على أرضها عام ٦١هـ ولم يحدثنا التاريخ عن وجود مدينة تسمى كربلاء قبل هذا العهد ، وإنما كانت إلى عهد الفتوحات الإسلامية أرضاً صحراوية تسكنها بعض القبائل العربية على شكل تجمعات قروية (بسيطة) ؛ لأنها بقعة زراعية قديمة تمصرت تدريجياً بعد إنشاء مرقد الإمام الحسين عليه السلام فيها. وبعد واقعة الطف واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام ونفر من أهل بيته وصحبه فيها عام (٦١هـ - ٦٨٠م) ودفنهم بأرضها ذاع صيتها وأصبحت لها منزلة كبيرة في نفوس المسلمين ، فأخذت قوافل الزوار تتهافت عليها باستمرار ، وتذكر المصادر التاريخية عندما قصدها الحسين عليه السلام سنة (٦٨٠م) لم يكن فيها للعمران شيء يذكر بدأت المدينة بالظهور وكان نواتها الأولى قبر الإمام الحسين عليه السلام حيث أقام عليه المختار بن أبي عبيدة الثقفي حاكم الكوفة قبة صغيرة من الأجر والجص وهو أول من بنى مرقد الإمام الحسين وشيده سنة (٦٥هـ - ٦٨٥م) وأصبح القبر فيما بعد النواة الأساسية الذي نمت حوله المدينة على شكل مساكن صغيرة متناثرة وبقيت هذه الحالة حتى أصبحت مأهولة بالسكان والدور، وكان للعامل الديني الدور البارز في نمو وتكوين مدينة كربلاء التي تعد من مدن الحج المهمة في العراق ، وتعد هذه المرحلة من أهم المراحل المورفولوجية في حياة المدينة لأنها تمثل البداية الأولى لنشأتها ونموها التي تعلن عن نهاية عهد كانت هذه المنطقة فيه عبارة عن منطقة مبعثرة السكن في أودية الصحراء وبداية عهد جديد نشأت على اثر تجمع للسكان حول نواة جديدة هو موضع قبر الحسين عليه السلام

ويمكن القول إن تطور ونشأتها المدينة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بعمارة المرقد فإن أية عمارة تطراً على المرقد تترك أثرها الإيجابي في المدينة وبالعكس، فقد تعرض مرقد الإمام الحسين عليه السلام وأخيه العباس إلى عمليات أعمار عديدة على مر التاريخ بدأت أولها سنة (٦٨٤ م) شهدت خلالها قرية صغيرة تحيط بقبر الحسين عليه السلام وكانت عبارة عن مجموعة من البيوت الصغيرة مبنية من الطين وجذوع النخيل ، أخذت هذه القرية بالنمو التدريجي طيلة سبعين عاماً حتى انهيار الدولة الأموية سنة (١٣٢ هـ - ٧٥٠ م) وقيام الدولة العباسية ، وفي العام نفسه أخذت مدينة كربلاء تنمو بشكل أسرع مما كانت عليه أيام الأمويين، فقد اتسعت عملية تشييد الدور والمساكن حول المرقد بفعل العامل الديني إذ أصبحت المدينة فيما بعد مركزاً لجذب السكان للاستيطان حول المرقد ولاسيما في اثناء تولي الخلافة من قبل المأمون العباسي الذي عمر المرقد سنة (١٩٣ هـ - ٨٠٩ م)، إلا إن المدينة تعرضت إلى نكسة عمرانية كبيرة في زمن خلافة المتوكل العباسي سنة (٢٣٦ هـ - ٨٢٠ م) الذي أمر بهدم قبر الحسين وما حوله من الدور ومنع الناس من زيارته، لذا فقد أثرت هذه النكسة العمرانية في المدينة من الناحيتين التخطيطية والاجتماعية لما لحق بالمساكن والمحال التجارية من خراب دام طيلة مدة خلافته ، إلا ان المدينة عادت إليها الحياة بعد تولي ولده المنتصر بالله الخلافة (٢٤٧ هـ - ٨٦١ م) الذي أمر بإعادة بناء وعمارة المرقد والدور والمحال التي بجواره ، ولم يمض قرنان من الزمن إلا ونمت حول قبور الأئمة مدينة صغيرة تضم آلاف السكان. وبفعل الاستقرار والطمأنينة الذي شهدته المدينة أثناء عملية تشييد أول سور للمدينة يحيط بالمرقدين وما حولهما من الدور سنة (٣٧١ هـ - ٩٨٢ م) ازدهرت المدينة وانشئت فيها الخانات والأسواق ، حتى وصفها الرحالة الشهير ابن بطوطة الذي زار المدينة سنة (٧٢٧ هـ - ١٣٢٧ م) بأنها مدينة صغيرة تحفها بساتين النخيل وتستمد مياهها من الفرات وقد نمت على الضريح المبارك وبنيت إلى جانبه مدرسة وأهل هذه المدينة طائفتان هما أولاد زحيك وأولاد فائز، اتسع عمران المدينة في عهد الدولة البويهية وبالخصوص في عهد عضد الدولة الذي

بنى أول مدرسة إسلامية في العراق هي (المدرسة العضدية) في مدينة كربلاء سنة (٩٠٨م) وكان موقعها بالقرب من مرقد الإمام الحسين عليه السلام ، وتشير المصادر التاريخية إلى أن بناء المدارس الإسلامية في العراق يرجع إلى عهد السلاجقة الذين حكموا العراق بعد البويهيين وفي سنة (٤٧٩هـ - ١٠٨٧م) أعيد تعميم سور المدينة في عهد السلاجقة وازداد الجانب العمراني للمدينة تطوراً في القرنين السابع والثامن الهجريين ولاسيما أيام الجلائريين

٢. المرحلة العمرانية الثانية : ١٥٠٠ - ١٩٢٠

دخلت مدينة كربلاء مرحلة عمرانية جديدة بعد استيلاء الشاه إسماعيل الصفوي على العراق سنة (٩١٤هـ - ١٥٠٨م) إذ شهدت المدينة توسعاً على يد الدولة الصفوية فأخذت المدينة تتوسع عمرانياً بشكل دائري حول قبور الشهداء وبعد سيطرة العثمانيين على العراق (٩١٤هـ - ١٥٣٥م) وفي عهد السلطان سليمان القانوني حظيت المدينة باهتمام واسع من قبله وبذل هذا السلطان ما بوسعه للاهتمام بالمرقد الشريفة وأمر بشق نهر يروي المدينة وسمي (بنهر السليمانية) نسبة إلى اسمه والذي يسمى اليوم (بنهر الحسينية) وما يزال يروي أراضي المدينة إلى يومنا هذا. وفي اثناء القرنين السابع والثامن عشر ظلت مدينة كربلاء محط صراع بين الدولتين العثمانية والفارسية ومن أهم مظاهر هذا الصراع هو مطالبة الأخيرة بالعتبات المقدسة في كربلاء والنجف ورفض الدولة العثمانية ذلك مما اثر هذا الصراع سلبا في تطور المدينة خلال هذين القرنين مما انعكس أيضا على طبيعة خدماتها المجتمعية . زار الرحالة البرتغالي (بيدر تكسير) المدينة سنة (١٠١٣هـ - ١٦٠٤م) ووصفها بأنها مدينة تحتوي على أربعة آلاف بيت وكانت أسواقها مبنية بناء محكما . وملئمة بالبضائع والسلع ويصف الرحالة إن هناك بركتين من الماء في محيط المدينة على جهة الفرات كانتا قد استخدمتا للنزهة والتسلية، كما زار مدينة كربلاء في هذه المرحلة الرحالة الألماني نيبور عام ١٧٦٥م وصفها بأنها بلدة تحيط بها البساتين وبيوتها مبنية من اللبن غير المشوي وكانت مسورة بسور من اللبن وكان لهذا السور خمسة أبواب ، وقد أشار نيبور إلى البرك المائية

التي أشار إليها تكسيرا. وهذا يدل على بقاء هذه البرك لتأدية وظيفة الترفيه. وفي عام ١٨٦٤م زار المدينة عضو الجمعية الجغرافية الملكية في لندن المستر جون أشر ، وأشار جون إلى وجود سور كبير محيط بالمدينة ، ويصف المدينة بأنها بلدة مزدحمة بالسكان وحركتها مستمرة ، تعرضت المدينة إلى هجمة شرسة من قبل الوهابيين عام ١٨٠١م الذين اقتحموا المدينة وهدموا أسوارها ونهبوا أسواقها واحرقوا المرقدين ونهبوا ما بهما من تحف وهدايا ومجوهرات. كان على اثر هذه الحادثة أن أمر الحاكم العثماني في بغداد بتسوير المدينة بسور خاص لصد مثل هذه الهجمات وجعل له ستة أبواب^(*) بقي هذا السور قائما إلى أواخر أيام العثمانيين في العراق ، وفي عام ١٨٥٧ في عهد والي بغداد العثماني السردار عمر باشا بالاتفاق مع الحكومة البريطانية أصبحت المدينة سنجقا (محافظة) تابعة لولاية بغداد عام ١٨٦٩ على أثره أجرى الوالي العثماني مدحت باشا تعديلات عمرانية كبيرة في المدينة، فقام بإنشاء محلة سكنية خارج سور المدينة القديم وأطلق عليها اسم العباسية الشرقية ثم توسعت هذه المحلة إلى قسمين العباسية الشرقية والعباسية الغربية وبذلك أصبحت مدينة كربلاء تقسم على قسمين : الأول القسم القديم أو ما يسمى كربلاء القديمة أما لقسم الثاني أو ما يسمى كربلاء الجديدة فهو القسم الذي خطط في ولاية مدحت باشا عام ١٨٦٩ وبني بأسلوب هندسي بديع ارتقت مدينة كربلاء إلى درجة المدن الكبيرة في العراق عام ١٨٨٠م بعد أن وضعت خطط لشوارعها وإحيائها ومحلاتها ثم ربطت بكافة المدن الصغيرة المجاورة . يصف المدينة رئيس بعثة آثار بنسلفانيا عام ١٨٩٢ بأنها مدينة مزدهرة توسعت خارج أسوارها القديمة وفيها الشوارع الواسعة والأرصفة المنظمة وبلغ عدد سكانها (٦٠) ألف نسمة ومن خلال

(*) سميت أبواب السور بالأسماء التالية :-

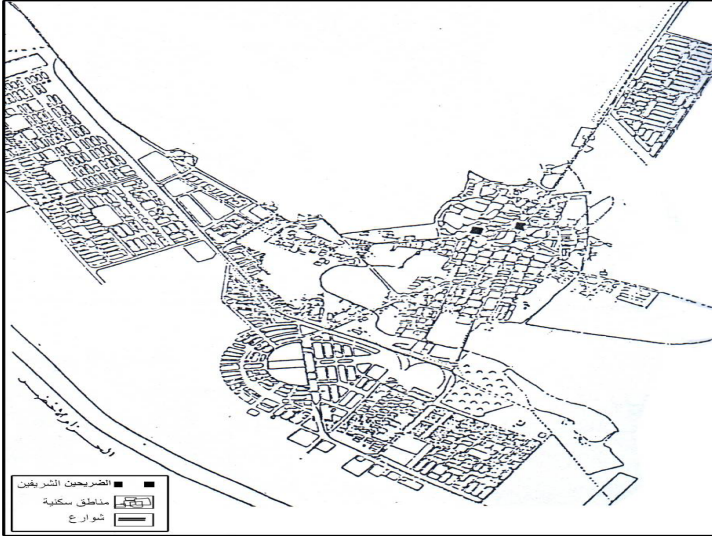
١. باب الخان : وسمي بهذا الاسم لوجود خان أقيم بالقرب من السور .
٢. باب الطاق : سمي بهذا الاسم نسبة إلى طاق (عقد) إبراهيم الزعفراني أحد رجالات كربلاء .
٣. باب بغداد : وهو الباب الذي يمر منه المسافرون إلى بغداد .
٤. باب النجف : وهو الباب الذي يمر منه المسافرون إلى مدينة النجف .
٥. باب السلامة : سمي بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة السلامة التي تسكن بالقرب منه .
٦. باب المخيم : سمي بهذا الاسم تيمنا بوجود المخيم الحسيني .

هذا التطور العمراني الذي قطعه المدينة توضحت معالمها العمرانية بصورة كبيرة .

٣. المرحلة العمرانية الثالثة ١٩٢١ - ١٩٦٨

تعد هذه المرحلة من المراحل المهمة في حياة المدينة وسكانها وخدماتها؛ لأن بنيتها تكاملت عمرانياً وبرزت خدماتها المجتمعية إلى حيز الوجود والتخطيط بعد أن عانت كثيراً من الإهمال. وتأتي أهمية هذه المرحلة لأن العراق انتقل من سلطة الاحتلال الأجنبي (العثماني والبريطاني) وشهد قيام الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١ حيث بدأ العمران في المدينة يأخذ منحى جديداً كسائر المدن العراقية الكبيرة إذ أدخلت أساليب جديدة في البناء وأنماط العمران تغيرت في التصاميم وعناصر المفردات المعمارية الغربية لاسيما الأبنية التي استحدثت خارج حدود المدينة القديمة ، فبدأت المناطق الجديدة من المدينة بالابتعاد عن الأزقة الضيقة والطرق الملتوية التي تميز بها الجزء القديم منها مما شجع على زيادة عدد سكان المدينة بحسب تعداد ١٩٤٧ إلى (٤٤١٥٠) نسمة ، ربطت المدينة بفرع من خط سكة الحديد الذي يربط بغداد بالبصرة عام ١٩٢٣ بطول (٣٨,٥ كم) عند اتصاله بالخط الرئيس الذي يمر بسدة الهندية لذا انشئت محطة للقطار جنوب المدينة مما شكل عاملاً جديداً لتوسع المدينة الأمر الذي أدى إلى توسع المدينة باتجاه الجنوب وشهدت هذه المرحلة تطوراً في خدمات المدينة المجتمعية بشكل ملحوظ من ناحية نمو سكاني سريع وتوسع أحيائها السكنية ففي نهاية الأربعينات تم توزيع قطع الأراضي الجديدة في الجهات الغربية والجنوبية من المدينة لذا انشئ حي الحسين سنة ١٩٤٩ جنوب المدينة وحي المعلمين في بداية الخمسينيات تلاه في عام ١٩٥٦ حي العباس والسعدية والجمعية والأنصار حتى أصبحت مساحة المدينة تقدر في نهاية الخمسينيات بحوالي (٢٥كم^٢) ففي عام ١٩٥٨ وضعت شركة (Doxiadis) المخطط الأساس لمدينة كربلاء الذي ضم مراحل تطورها العمراني لغاية سنة ٢٠٠٠ ولكن

لم ينفذ منه إلا بعض جوانبه. (خريطة-٣)



(خريطة -٣) التوسع العمراني لمدينة كربلاء حسب توصيات Doxiadis

٤. المرحلة العمرانية المعاصرة ١٩٦٨ - ٢٠١٣

تميزت مدينة كربلاء في هذه الحقبة بمميزات تفوق المراحل التاريخية السابقة وبلاشك فان هذه المرحلة من أكثر مراحل المدينة أهمية وذلك لأنها حاصلة ما توصلت إليه المدينة من بنية عمرانية وسكانية وتكامل حضري تبلورت من خلاله خدمات المدينة المجتمعية التي شكلت جزءاً لا يستهان به من استعمالاتها الحضرية المعاصرة ، اتسمت هذه المرحلة بالنمو السريع والتوسع الكبير الذي شمل محلاتها السكنية وزيادة عدد سكانها نتيجة التطور والنمو الاقتصادي الذي تعيشه المدينة لأن ركيزتها الاقتصادية قوية قائمة على نشاط تجاري وسياحي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالوظيفة الدينية التي تتمتع بها المدينة منذ نشأتها وحتى الوقت الحاضر ، استمرت المدينة بالتوسع باتجاه الجنوب الشرقي والشمال الغربي ومحاور نمو المدينة الحالية

والمستقبلية حتى استوعبت جزءاً من المخطط الذي أعد لها ، بلغت مساحة المدينة في هذه المرحلة حوالي (٥٢ كم^٢) واستحدثت أحياء سكنية جديدة كالوفاء والميلاد والتحدي والنصر والبناء الجاهز والأطباء والقدس والرسالة والأسانذة والمدراء وغيرها (خريطة -٤) مما جعل من بنية المدينة المعاصرة ذات شخصية بارزة خلافاً لما كانت عليها في السابق.



(خريطة -٤) البنية الحضرية المعاصرة لمدينة كربلاء

الأهمية الدينية والحضارية لهدينة كربلاء

وتعرف بمدن الحج والسياحة الدينية وقد تشكل هذا النوع من المدن بفعل العديد من العوامل الدينية والتاريخية والآثرية والاجتماعية فلقد لعبت الأديان السماوية بما خلفته من آثار مادية ومعنوية عبر حقب تاريخية مختلفة من تشكيل مؤروث ديني - حضاري يجسد بعض من منظومة القيم الإنسانية التي تقوم عليها تلك الأديان والمعتقدات فالإسلام واحد من تلك المنظومات القيمة المميزة الذي خلف العديد من الصور والموروثات الدينية التي تتم عن مواقف إنسانية رائعة جسدها رواد الإسلام وما تمثل مواقف السامية وعبرة للأجيال المسلمة القادمة، فالمساجد والجوامع والمرافد والمقامات والنصب التذكارية والتكايا باتت تمثل في مخيلة المسلمين في العراق أماكن ذات قدسية دينية عالية وتحضى بالمزيد من الاحترام والثناء لما تمثله في نفوسهم من أهمية روحية تغذي شعورهم الديني بالراحة والطمأنينة، فبنية العراق الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية جعلت منه بلدا يمتلك بعدا حضاريا وأيدلوجيا ثريا تكاملت رؤيته الحضارية على اختلاف مراحلها التاريخية وقد افرز هذا الثراء الفكري تنوعا حيويا في أيدلوجيته الإسلامية المعتدلة وبات يضم مختلف الديانات السماوية الإسلامية والمسيحية وبعض الديانات الأخرى كالصابئية واليزيدية وغيرها فيما شكلت تركيز بعضها في مناطق معينة مما أوجد مراكز دينية مهمة منها كمدن كربلاء والنجف الأشرف التي تشتهر بعرضها الديني المميز والذي جعل منها احد أهم المراكز الدينية في العراق والتي تمتاز بتقديم خدمات دينية - روحية وتمارس فيها بعض الطقوس الدينية والتي تخص مجموعة من السكان والتي جعلت منها محتوية على صور دينية متعددة تلبي احتياجات العديد من السكان داخل العراق وخارجه من خلال رحلات سياحية دينية منتظمة خلال مواسم دينية محددة من السنة يؤم فيها الوافدون تلك المراكز الدينية والإقامة فيها أياماً متعددة، وعلى الرغم من تعدد صور هذه الوظيفة

الحضرية بين ديانات العراق المختلفة المسيحية والصابئية واليزيدية إلا أن مدن الإسلام الدينية أقوى وأكثر شهرة عالمية من أية مدينة دينية أخرى في العراق ، إذ تعد مدينة كربلاء من ابرز مدن العراق الدينية لأنها تنصدر المشهد الديني بمحتواها الذي يضم مرقد سيد الشهداء الأمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام وبعض المقامات الدينية الأخرى وممثلات المرجعيات الدينية وبعض المدارس والحوارات الدينية والتي يؤمها طلبة العلوم الدينية من جهات العراق المختلفة ، وقد أدا اتساع حركة السياحة الدينية في كربلاء دوراً كبيراً في بنيتها ونسيجها الحضري ومراحل تطورها العمراني ، مما جعل منها من أهم مراكز الدين والاقتصاد والسياحة في عموم البلاد إذ تشكل مورداً اقتصادياً مهماً لما تشهده من حركة سياحية واسعة النطاق على مختلف مواسم السنة.



(مرقد الأمام الحسين عليه السلام)



(مرقد ابي الفضل العباس ابن علي عليهما السلام)



جانب من كثافة الزائرين لمرقدي الامام الحسين وأخيه العباس عليهما



زيارة اربعينية الامام الحسين (ع) - طريق النجف



زيارة اربعينية الامام الحسين (ع) - طريق الحلة

تطور الواقع الديموغرافي في مدينة كربلاء

طبقا للتعدادات الرسمية السكانية لمدينة كربلاء فأن سكان المدينة شهد تطورا ملحوظا من خلال الزيادة السكانية ومعدل النمو السنوي ، من خلال البيانات السكانية المتوفرة يتضح بأن هناك زيادة في أعداد السكان بين التعدادات للأعوام من ١٩٤٧ و ٢٠٠٥ م بلغت (٦٠١٣٢٢) نسمة وهذه الزيادة السكانية تعزى إلى تطور معدل النمو السنوي للسكان البالغ في المدة أعلاه والبالغة (٢,٤٪) إلى (٤,٣٪) (جدول-١) الناتج من الزيادة الطبيعية للسكان وارتفاع معدلات الهجرة السكانية الداخلية والخارجية وبحسب التقديرات الرسمية للسكان في العراق فقد بلغ عدد سكان المدينة للعام ٢٠٠٧ أكثر من (٥١١٤٣٤) نسمة فيما يزيد عدد سكان المحافظة عن (٨٨٧٨٥٩) نسمة ، يتوزع سكان مدينة كربلاء على خريطة المدينة الحضرية على ثلاث قطاعات سكنية رئيسة هي :

1. قطاع المدينة القديمة
2. قطاع الحيدرية
3. قطاع الجزيرة

يتوزع عليها السكان بشكل متباين بواقع (٦٠) حيا سكنيا.

جدول-١

(تطور الحجم السكاني لمدينة كربلاء ومحافظتها للفترة من ١٩٤٧-٢٠٠٥م)

معدل النمو السنوي	نسبة سكان المحافظة من العراق	معدل النمو السنوي	سكان العراق	معدل النمو السنوي	نسبة سكان المدينة من المحافظة	سكان المدينة	سكان المحافظة	الأعوام
١	3.26	-	4566185	-	16.10	44150	274664	1947
2.4	3.45	5.4	2698976	3.1	27.74	60294	217375	1957
5.7	4.22	8.6	8047415	3.8	23.99	81539	339854	1965
1.9	2.24	3.4	12000497	4.6	51.81	139795	269822	1977
5.6	2.87	3.1	16335199	6.3	62.78	282875	467418	1987
2.4	2.69	3	22046244	1.3	54.40	323317	594235	1997
4.3	2.98	3	27962968	4.3	54.4	454726	834801	2005

(تطور الحجم السكاني لمدينة كربلاء ومحافظتها للفترة من 1947-2005 م)

جدول-1

أما صورة التوزيع الجغرافي لسكان المحافظة فهي مختلفة بين بيئتي الريف والحضر ضمن الوحدات الإدارية التابعة للمحافظة يتصدرها مركز قضاء كربلاء بنسبة (٥٨٪) يليها قضاء الهندية ثم قضاء عين التمر (جدول-٢)

(جدول-٢)

الوحدات الإدارية في محافظة كربلاء مساحتها وعدد سكانها لعام ٢٠٠٧ م

القضاء	الناحية	المساحة كم ^٢	عدد السكان
كربلاء	مركز القضاء	٢٣٩٧	٥١١٤٣٤
	الحسينية	٣٣٤	١٢١٣٢١
الهندية	مركز القضاء	١٣٤	٩٦٣٠٧
	الجدول الغربي	٢١٣	٧٨٨٨٥
	الخيرات	-	٥٥٣٥٤
عين التمر	مركز القضاء	١٩٥٦	٢٤٥٥٨
المجموع		٥٠٣٤	٨٨٧٨٥٩

قائمة المراجع

- الكتاب المقدس ، سفر دانيال الثالث ، بيروت ، ١٩٦٠.
- إبراهيم شريف ، الموقع الجغرافي للعراق ، ج ١ ، بغداد.
- جعفر الخليلي ، موسوعة العتبات المقدسة ، قسم كربلاء ، الجزء الثامن .
- عبد الجبار ناجي ، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ، بيروت ، ٢٠٠١.
- عبد الرزاق عباس حسين ، نشأة مدن العراق وتطورها ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة ، ١٩٧٣.
- دورثي مكاي ، مدن العراق القديمة ، ترجمة يوسف يعقوب مسكوني ، بغداد ، ١٩٦١.
- ليواوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعد فيضي عبد الرزاق ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ .
- رياض الجميلي ، مدينة كربلاء (دراسة في النشأة في التطور العمراني) ، دار الكتب ، بيروت ، ٢٠١٢.
- طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الجزء الأول ، مطبوعات دار المعلمين ، ط ٢ ، بغداد ، ١٩٥٥.
- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، الجزء الرابع ، دار الصادر ، بيروت .



مركز كربلاء للدراسات والبحوث

